اليقين ويوم عاشورا

﴿الخُطْبَةُ الْأُوْلَى﴾

١٤٤٥/١/١٠هـ

إِنَّ الْحَمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، وَسَيِّئاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللهِ: قال الله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وطاعته: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فَإِنَّ منْ أعْظَمِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ الأوَّلينَ والآخِرِينَ؛ هُوَ الأمرُ بِتَقْوَاهُ جَلَّ في عُلاهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

فَأُوصِيكُمْ وَنَفسِيَ بِتَقوَى الله تعالى، والثِّقَةِ بِهِ، والإيمانِ بِمَوْعُوْدِهِ، واليَقينِ بِمَا عِنْدِهُ، فَبِاليَقِيْنِ يَتَفَاضَلُ النَّاسُ عِنْدَ اللهِ تَعَالى.

مَعَاشِرَ المُؤْمِنِينَ: إنَّ مِنْ أَجَلِّ أعْمَالِ القُلوبِ

التي يَنبَغِي للمؤمِنِ أنْ يَعتَنِيَ بهَا: عَمَلَ اليَقِيْنِ، وهُو عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، يَحْتَاجُ عِنَايَةً وَتَثَبُّتاً؛ فَبِهِ تَرْتَفِعُ الدَّرَجَاتُ، وَتَكْثُرُ الأُعْطِيَاتُ. واليَقينُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الإيمانِ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ التَّقْوَى والإحسَانِ، وَحَقِيقَةُ اليَقينِ هُوَ طُمَأْنِيْنَةٌ يُنْزِلُهَا اللهُ في قَلْبِ العَبْدِ حِيْنَما يَكُونُ العَبْدُ مُصَدِّقاً بِوَعْدِ اللهِ، وَرَاضِياً بِقَضَائِهِ، ومُسَلِّماً لِمَشِيْئَتِهِ سُبْحانِهُ، واليقينُ هُوَ لُبُّ الدِّيْنِ وَمَقْصُودُهُ الأَعْظَمُ، وَبِهِ يَزْدَادُ المسْلِمُ مِنْ رَبِّهِ قُرْباً وَحُبّاً وَرِضاً، وَمَنْ أرَادَ أنْ يُدْرِكَ الهِدَايَةَ في الدُّنْيَا والفَلاحَ في الآخِرَةِ

فَلْيَكُنْ مِن المُوقِنِينَ، الذينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى في جَزَائِهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ۝ البقرة آية ٤

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كانَ مِن دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصائب الدُّنْيَا). إنَّ المُرَادَ باليَقينِ هُوَ العِلمُ التَّامُّ الذي لَيسَ فِيهِ أدْنَى شَكٍّ،

المُوْجِبُ للْعَمَلِ، كَمَا قَالَ السِّعْدِيُّ البيهقي رَحِمَهُا اللهُ: "اليَقينُ هُوَ سُكُونُ القّلْبِ عِنْدَ العَمَلِ بِمَا صَدَّقَ بِهِ القَلْبُ؛ فَالقَلْبُ مُطْمَئِنٌّ لَيْسَ فِيهِ تَخوِيفٌ مِنَ الشّيطَانِ، ولا يُؤَثِّرُ فيهِ تَخَوُّفٌ؛ فَالقَلْبُ سَاكنٌ آمِنٌ لَيْسَ يَخَافُ مِنَ الدُّنيَا قَلِيلاً وَلَا كَثِيرًا".

وَصَاحِبُ اليَقينِ لا يَخشَى إلا اللهَ، ولا يَحْزَنُ أشدَّ الحُزْنِ عَلى مَا أصَابَهُ وَلا مَا فَاتَهُ مِن الدُّنيَا لأنَّهُ يَعْلَمُ أنّهُ جُزءٌ مِنْ تَقْدِيْرِ اللهِ لَهُ،

وَمَا أحْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

رَبِّيْ مَعِيْ فَمَنِ الذِيْ أَخْشَى إِذَنْ؟

مَا دَامَ رَبِّيْ يُحْسِنُ التَّدْبِيْرَا

وَهُوَ الذِيْ قَدْ قَالَ فِيْ قُرْآنِهِ

وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيْراً

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ﴾ مَنْزِلَةُ اليَقِينِ: وَهُوَ مِنَ الإيمانِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوْحِ مِنَ الجَسَدِ، وَفِيهِ تَنَافَسَ المتَنَافِسُونَ، وإليهِ شَمَّرَ العَامِلُونَ، وإذَا تَزَوَّجَ الصَّبْرُ باليَقِينِ: وُلِدَ بَينَهُمَا حُصُولُ الإمَامَةِ فِي الدِّيْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمّا صَبَرُوْا وَكَانُوْا

بِآيَاتِنَا يُوْقِنُوْنَ﴾ وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: "لَوْ أَنَّ اليَقينَ اسْتَقَرَّ فِي القَلْبِ كَمَا يَنْبَغِي لَطَارَ فَرَحاً وَحُزْناً وَشَوْقاً إلى الجَنَّةِ، أوْ خَوْفاً مِنَ النَّارِ".

أيُّهَا المُؤْمِنُونَ: كلَّما ازْدَادَ يَقِينُ العَبْدِ، تَبَيَّنَتْ لَهُ آياتُ اللهِ، وَاسْتَنَارَ قَلْبُهُ بِهَا، ﴿وَفِي ٱلأَرضِ آيَاتٌ لِّلمُوقِنِينَ﴾، فَتَعَلَّمُوا عِبَادَةَ اليَقينِ، لِتَنَالُوا السَّعَادَةَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، وَتَكُونُوا مِنَ المُفْلِحِينَ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِيْنَ يَقُولُ : "يَقِيْنِيْ بِاللهِ يَقِيْنِيْ"، أيْ: أنَّ إيمَانِي وَتَصْدِيْقِيْ بِاللهِ وَثِقَتِي بِوَعْدِهِ؛ يَحْمِيْنِيْ مِنْ

جَمِيعِ الشُّرُوْرِ، وَيُبْعِدُ عَنِّي أَنْوَاعَ الأضْرَارِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إلا بِحُسْنِ تَقْدِيْرِ اللهِ وَجَمِيْلِ تَدْبِيْرِهِ سُبْحَانَهُ.

فاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا يَقِيناً يُخَالِطُ قُلُوْبَنَا مَا حَيِيْنَا يَا رَبَّ العَالَمِين.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقرآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وإِيَّاكُم بِمَا فِيهِمَا مِنَ الآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ.

أقولُ قَولِيْ هَذا.. واستَغْفِرُ اللهَ العظيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاستغفِرُوهُ، إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ

﴿الخُطْبَةُ الثَانِية﴾

الْحَمْدُ للهِ عَلَى جَزِيلِ نَعْمَائِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَعَظِيمِ آلائِهِ، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خِيْرَةِ أوْلِيَائِهِ، وخَاتَمِ أنْبِيَائِهِ. أَمَّا بَعدُ **عِبادَ اللهِ:** في الصحيحين عن ابن عباس قال: " لَمَّا قَدِمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ واليَهُودُ تَصُومُ يَومَ عاشُوراءَ، فَسَأَلَهُمْ، فقالوا: هذا اليَوْمُ الذي ظَهَرَ فيه مُوسَى علَى فِرْعَوْنَ، فقالَ النبيُّ ﷺ : نَحْنُ أوْلَى بمُوسَى منهمْ فَصُومُوهُ ". متفق عليه

سببُ الصيامُ هذا اليومِ هو شكرٌ لله عز وجل لأنه نجى موسى من فرعونَ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيْحِهِ عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: (لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ).

وَلَمَّا ضَاقَ الحَالُ بِمُوسَى وَقَوْمِهِ دَعَا عَلَيْهِ السَّلَامُ اللهَ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى

أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾. قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا. ثُمَّ يُوحِي اللهُ تَعَالى إِلَى مُوسَى أَنْ يَخْرُجَ لَيْلَةَ العَاشِرِ مِنْ مُحَرَّمَ مَعَ الثُّلَّةِ المُؤْمِنَةِ مَعَهُ، فَيعْلَمُ فِرْعَونُ بِخُرُوجِهِمْ، وَيَأْبَى إِلَّا أَنْ يُطَارِدَهُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ، فَيَجْمَعُ قَوْمَهُ وَيَشْرَعُونَ بِمُلَاحَقَةِ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى البَحْرِ.

شَاهَدَ قَوْمُ مُوسَى فِرْعَونَ مِنْ خَلْفِهِمْ، والبَحْرَ مِنْ أَمَامِهِمْ، فَصَاحُوا بمُوسَى: إِنَّا لَمُدْرَكُونَ. وَيَتَرَاءَى الجَمْعَانِ، وَتُغْلَقُ الأَبْوَابُ أَمَامَ مُوسَى

عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا بَابَ اللهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، الذِي أَنْجَاهُ صَغِيْرًا مِنَ المَوْتِ، وَرَعَاهُ كَبِيْرًا، وَأَغْدَقَ عَلَيْهِ النِّعَمَ، وَكَلَّفَهُ بِالنُّبُوَّةِ، فَيَقُوْلُ مُوْسَى لِقَوْمِهِ ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

عِنْدَ ذَلِكَ يَأْتِي الفَرَجُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَيَأْتِي الوَحْيُ مِنَ اللهِ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ .اِنْفَلَقَ البَحْرُ فَأَصْبَحَ أَمَامَ مُوسَى وَقَوْمَهُ طَرِيْقٌ يَبَسٌ، يَمْتَدُّ إِلَى الضِفَّةِ الأُخْرَى، والبَحْرُ عَنْ يَمِيْنِهِ وَشِمَالِهِ كَجَبَلَيْنِ عَظِيْمَيْنِ، وَيَمْضِي مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مُسْرِعِيْنَ

فِي هَذَا الطَّرِيْقِ، لِيَعْبُرُوا إِلَى الجِهَةِ المُقَابِلَةِ مِنَ البَحْرِ، وَيَتْبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، أمَرَ اللهُ تَعَالَى البَحْرَ أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ، فَيَنْطَبِقُ البَحْرُ عَلَى الذِي قَالَ يَوْمًا: أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي، فَأَجْرَى اللهُ تَعَالَى المَاءَ مِنْ فَوقِهِ. وَيُصَارِعُ فِرْعَونُ الأَمْوَاجَ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، قالَ جبريلُ: (لو رأيتَني

وأَنا آخذُ من حالِ البحرِ فأدسُّهُ في فمِ فرعونَ مخافةَ أن تُدْرِكَهُ الرَّحمةُ) أخرجه الترمذي (٣١٠٧)

وَلِأَنَّ فِرْعَونَ قَدْ بَلَغَ تَعْظِيْمُهُ مِنَ النَّاسِ مَبْلَغًا كَبِيرًا، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يُهْزَمَ وَلَنْ يَمُوتَ، قَالَ اللهُ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾، فَأَرَى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيْلَ جُثَّةَ فِرْعَونَ بِأَعْيُنِهِمْ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مُهْلِكُه وَلَوْ بَعْدَ حِيْنٍ، وَأَنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِيْنَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ.

عباد الله: درجات الصيام في هذه الأيام؛ إِفْرَادُ الْعَاشِرِ وَحْدَهُ بِالصَّوْمِ جَائِزٌ من غَيْرِ كَرَاهَةٍ ، ولو كان يوم الجمعة.

الدرجة الثانية: أن يصوم التاسع والعاشر وقد بلغ أعلى الدرجات، قال ﷺ (**لئِنْ بَقِيتُ إلى قابِلٍ، لأَصومَنَّ اليومَ التاسِعَ**) قال أبو عليٍّ: أخرجه مسلم ورواه أحمدُ بنُ يونس عن ابنِ أبي ذِئبٍ، زادَ فيه: مخافةَ أنْ يفوتَه عاشوراءُ .

عِبَادَ اللهِ: اِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْأَمِينِ، فَقَالَ فِي مُحْكَمِ

التَّنْزِيْلِ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾. اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ قَضَوا بِالْحَقِّ، وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الآلِ وَالصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُم بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَدِمْ الْأَمْنَ وَالِاسْتِقْرَارَ فِي بِلَادِنَا وَبِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَاصْرِفْ عَنَّا وَعَنْهُمْ كُلَّ شَرٍّ وَبَلَاءٍ، وَاكْفِنَا وَإِيَّاهُمْ سَائِرَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَوْدِعُكَ جُنُودَنَا يَامَنْ لَا تَضِيعُ وَدائِعُهُ، اللَّهُمَّ احْفَظْهُمْ بَرًّا وَبَحْرًا وَجَوًّا، اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَانْصُرْهُمْ نَصْرًا مِنْ عِنْدِكَ. اللَّهُمَّ أَفْرِغْ عَلَيْهِمْ صَبْرًا، وَثَبِّتْ أَقْدامَهُمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، اللَّهُمَّ احْفَظْهُمْ بِحِفْظِكَ الَّذِي لا يُرامُ، وَاحْرُسْهُمْ بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ يَا قَوِيُّ يا عَزِيزُ. اللَّهُمَّ احْفَظْ إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِحِفْظِكَ، وَوَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى. اللَّهُمَّ ارْحَمْ

وَالِدِيْنا كَمَا رَبَّوْنا صِغارًا، وَأَعِنَّا عَلَى بِرِّهِمْ أَحْياءً وَأَمْواتًا. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار

﴿سُبحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلعِزَّةِ عَمَّا يصفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلمُرسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات ١٨٠-١٨٢]